الاتجاه الذى وجد امتداده فى رثائيات البحترى ، ومن بعده فى مرثيات أبى الطيب المتنبى وأبى فراس فى القرن الرابع الهجرى .

وربما اتسع إطار المرثية لتحكى حضارة أمة ، فى ظلال عراقة ماضيها ، فتنعى المرثية حظها العاثر ، حين تصور ما آل إليه أمرها ، هو ما يتجاوز رثاء « المملكة » إلى تناول كل مقومات الحضارة ، على نحو ماصنعه البحترى فى وقفته التأملية الطويلة أمام إيوان كسرى فى « سينيته » المشهورة ومطلعها :

صنت نفسى عما يدنس نفســـــى وترفّعت عن جدا كل جبـــــس

إذ يجعلها فرصته التى يحكى فيها معارفه بتاريخ الفرس القديم ، حين عكف على تصوير الأنظمة الكسروية ، فى مقابل تفاصيل أخرى حول مواقف الرعية ، وكذا الصور الحربية التى عاشتها فى صراعات دامية بين معسكرَىْ الفرس والروم ، ولاينسى الشاعر فى زحام انشغاله بالإيوان كأثر فارسى أن يرثيه كاشفا عن علاقات الود التى كانت تشد الفرس زمانا إلى العرب بحكم الجوار ، وغير ذلك مما يسجله تاريخيا على نحو مفصّل تحتويه السينية .

ويضاف إلى هذا الباب من المنظور التاريخى - أيضا - رثاء الأمم أو الدول ، مما يضاف إليه معظم أندلسيات الشعراء فى هذا الاتجاه ، وكذا ما يتبدىّ فى موقف الشاعر من انهيار خلافة ما ، أو عرض تاريخ نظام حكم على طراز رثائيات الشعراء للدولة الأموية ، أو صيغ التباكى على سقوط الخلافة العباسية بعد انهيار مدينة بغداد إثر غزوات المغول سنة ٦٥٦ هـ ، وغير ذلك من صور دامية أصابت المجتمع الإسلامى فى عصور التفكك والانقسام وشهدتها فترات التحول إلى الدويلات والإمارات والممالك الممزقة ، وفى زحام حكامها من غير العناصر العربية .

وفى حدود هذه الماهية أيضا يمكن أن نتوقف عند الأنماط الهجائية التى يفرزها فن الهجاء ، والتى ربما انصرف - بدوره - إلى هجاء سياسى ، سواء عاش فى ظلال الحس القبلى بين شعراء النقائض ، أو ما كان من قبلهم لدى شعراء مدرستَىْ مكة والمدينة فى عصر صدر الإسلام ، أو فى ظلال الصراعات السياسية الدامية بين علىٍّ ومعاوية ، أو بين علىٍّ والخوارج ، مما جعل الهجائيات تحكى ضروباً من الصراع حول نظام الحكم ، كما حدث فى وقعة «صفين »